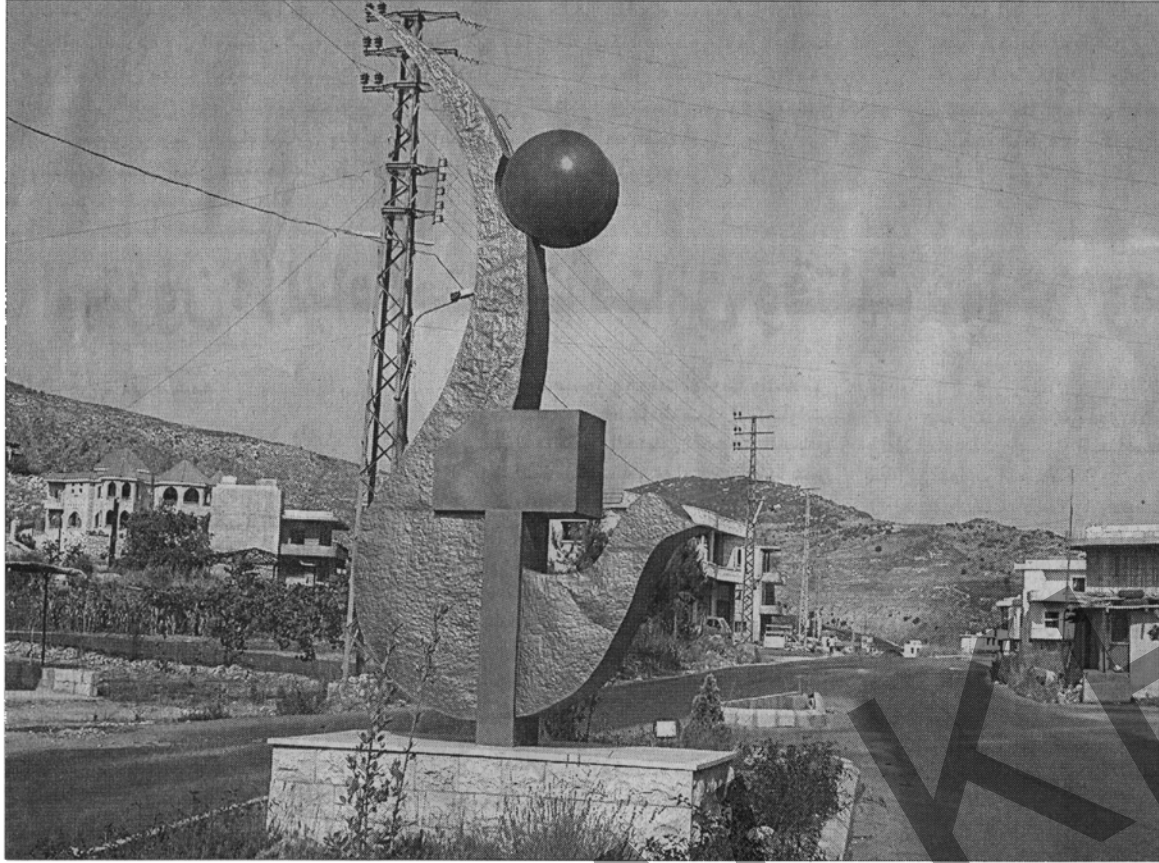


قرية الانتماءات المتعددة توحدت في المقاومة.. وفي الهموم المعيشية في «كفر موسكو».. حيث كان الناس يُعتقلون بسبب منشور



(عدنان طباجة)

نصب أقامه الحزب الشيوعي في كفرمرمان

الوطنية. ويطالبهم بالعدول عن أفكارهم والاقتراب أكثر من القوى الإسلامية خاصة حركة أمل وحزب الله. وحين يقع الخيار على تصنيف القرية بين «كفر قم» أو «كفر موسكو»، يضحك الطرفان مضطربين إلى العودة إلى الاسم الأول والأخير: كفرمرمان.

يتوحد المواطنون في كفرمرمان من سكان كفرقم وكفر موسكو على الهموم اليومية فمياه الشرب لا تصل القرية إلا نادراً بعدما جرى استجرار مياههم نحو الغازية مما حرم القرية بنعمة المياه إضافة إلى أن الكهرباء لا تخضع لاية رقابة وأحياناً تستمر مقطوعة لعدة أيام متواصلة ناهيك عن الوضع السيئ للطرق. مر الموسم الانتخابي ولم تحظ القرية بنعمة الإسفلت الجديد كسائر المناطق اللبنانية ربما لكون المنطقة لا تجري فيها معارك انتخابية وبالتالي لا وجود لتنافس ينعكس إيجاباً على المواطنين اقله في ما يتعلق بالزفت على الطرقات وهذا اضعف الإيمان.

تجيب عواضة

المهدي، أما الشيوعيون فهم مسيطرون على فوج التربية الوطنية التابع للدولة. تقام الكثير من النشاطات الترفيهية المختلفة في سعي لاستقطاب الأجيال الجديدة. الشيوعيون ممثلون بالبلدية بعدما فاز تحالفهم وحركة أمل والنائب عبد اللطيف الزين في مواجهة حزب الله في الانتخابات البلدية الاخيرة. الأهالي يعترفون بفضل الشيوعيين على البلدة ودفاعهم عن حقوق الفلاحين والمزارعين ابان الاقطاع السياسي وفي تصديهم للاحتلال حيث تحتضن جبانة القرية تسعة من ابنائها سقطوا شهداء اثناء تنفيذهم لعمليات عسكرية في اطار جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية. معهم هناك تسعة شهداء لحزب الله وأربعة لحركة أمل ينامون تحت تراب القرية الواحد.

يقدم الشيخ حسين محيدلي (٥٦ عاماً) شهادة مؤثرة في حضرة قدامى شيوعيين كفرمرمان معترفاً بدورهم التاريخي في تحديد ساعات العمل وتحسين اجور الفقراء ورفض السلطنة والاقطاع والعمل بالجانية والجبر. إضافة إلى دورهم في مقاومة الاحتلال بدءاً من الحرس الشعبي وصولاً إلى المقاومة

وبين عامي ١٩٨٥ و٢٠٠٠ وقع السهل تحت قبضة الاحتلال وتم تهجير نصف القرية وإفراغ أحيائها الشرقية من سكانها فهي أصبحت واحدة من قرى المواجهة وقاعدة لانطلاق العمليات العسكرية من داخلها. فكانت عرضة للقصف والتدمير بصورة متواصلة.

بعد التحرير في العام ٢٠٠٠ عاد سهل المذبة إلى كفرمرمان لكن لم تعد زراعة التبغ اليه. كان وجه القرية تغير وبرزت قوى سياسية خلال العشرين عاماً الماضية فظهرت حركة أمل كمنافس قوي للشيوعيين مدعومة من نفوذ عبد اللطيف الزين النائب عن المنطقة منذ ٤٧ عاماً كذلك الامر بالنسبة لحزب الله الذي رسخ حضوره القوي في القرية.

كفر «قم» ام كفر «موسكو»

يوجد في القرية اليوم العديد من الأندية الرياضية فلكل طرف سياسي ناد رياضي - اجتماعي - ثقافي وكشافة الخاص به. حركة أمل لديها كشاف الرسالة وحزب الله لديه كشاف

فعادوا إلى كفرمرمان.

الدولة والاقطاع الجديد

لم تكن اوضاع القرى الجنوبية الاخرى افضل حالاً فمع دخول الجنوب دائرة المواجهة مع العدو الاسرائيلي وتعرض قراه وحقوقه للاعتداءات الاسرائيلية، لم تقم الدولة بدعم صمود المزارعين مما دفع العديد منهم للسفر الى خارج الأراضي اللبنانية او الانتقال لاعمال الحرفية. ادارت الدولة ظهرها لقضايا الجنوب مما زاد اعباء الحياة. الاقطاع من جهة وتجاهل الدولة من جهة والعدو الاسرائيلي من جهة اخرى. ولكون كفرمرمان ذات صبغة حمراء فقد ازدادت معاناتها فانتقلت من مواجهة الاقطاع السياسي الى مواجهة سياسة الدولة.

جرت مظاهرة امام الريجي في العام ١٩٧٣ مطالبة برفع سعر كيلو التبغ، وفي العام ١٩٧٥ ذهب وفد من القرية ضم الشيوعيين والنائب عبد اللطيف الزين لمقابلة رئيس الحكومة وكان يومها رشيد كرامي رئيساً للوزراء ووزيراً للمالية، وعرض الوفد مشاكله مع الريجي وقصة «البريم» فالريجي لا تحتسب حتى يوماً هذا القطعة الاولى وتسمى تعببية ضمن زنة الحصول، فتصادرها وتضعها في حسابها، فما كان من دولته الا ان طالب المزارعين بعدم زراعة التكعبية!

تعرضت كفرمرمان إلى نكسة كبيرة فسهل المذبة الذي يمثل الشريان الحيوي للقرية على حد تعبير حسين المعلم (٦٠ سنة) كان عرضة للقصف في منتصف السبعينيات من القرن الماضي مما جعل التواجد فيه خطراً على حياة الفلاحين. نتيجة ذلك خسّر الفلاحون أرضهم لسنوات فحرم من لم يتمكن من زراعة أرضه من رخص الدخان فقامت الريجي بسحب ما يقارب ١٥٠٠ رخصة.

يجب» حيث نفوذهم قوي. في سجلات ذكريات شيوعيي البلدة العتاق نصر يتعلق بعدد ساعات العمل. كان الفلاحون يقومون باكراً إلى حقولهم على شكل مجموعات تسمى ورشا، فكل ورشة مؤلفة من ١٠ أشخاص يعملون في الأرض معاً وعلى كل ورشة إن تنجز زراعة دونمين من الدخان في اليوم من السادسة صباحاً حتى السادسة مساءً. فذهب أبو سمير سلامة (٨١ عاماً) إلى أحد ساعات العمل، فذهب أبو سمير سلامة مع آل الزين عارضاً أصحاب الورش ممن كانوا على خصومة مع آل الزين عارضاً عليه العمل من السادسة حتى الرابعة مقابل إنجاز ما هو مطلوب، أي زراعة دونمين من الدخان. وهذا ما حصل. فقد عقد العزم ورفاقه على العمل بصورة متواصلة بلا تلوؤ لتحقيق الهدف وعند الساعة الرابعة تركوا الحقل عائدين بشاحنة كبيرة كانت تقلهم ذهاباً وإياباً وهم يهتفون. الكل كان مذهولاً بعودتهم مبكرين. سرعان ما انتشر الخبر في المناطق المحيطة خاصة في النبطية التي تبني مزارعها وعمالها الفكرة وقاموا برفضها لتصبح بعد عام نوعاً من الحقوق المكتسبة لدى المزارعين.

تبرعات لدرسة القرية

نحن في العام ١٩٥٤. الشيوعيون في كفرمرمان يحتفلون بفوز الشيوعي خالد بكداش بالنياحة في سوريا. ولهذا المناسبة عقد اجتماع حزبي في القرية وعلى جدول أعماله التبرع بخمسة قروش لشراء سيارة للنائب الفائز. تعاطف نفوذ الشيوعيين بعدما نجحوا في استقطاب مجموعات جديدة من القرية ومنهم من كان مؤيداً لآل الزين. تعددت المهامات فقد انطلق العمل على جمع التبرعات لبناء مدرسة للقرية. كان طموح احمد قانصو ان يجلس في مدرسة كبيرة لان يدرس في غرفة محاذية للحسينية او في بيت الشيخ. وبعد سنوات من جمع التبرعات فرض الشيوعيون على وزارة المعارف الشروع بإقامة مدرسة بعدما استحصلوا على أرض ووضعوا الاساسات لتشييدها. إلا أن احمد لم يتمكن من متابعة تعليمه بعدما منعه الأستاذ من الدخول إلى المدرسة بسبب ولائه للحزب. ركب احمد دراجته الهوائية المركونة أسفل الدرج وأطلق الشتائم بوجه الأستاذ ومن ثم غادر المدرسة وبعدها استصدر جواز سفر وترك لبنان إلى الكويت.

في تلك الفترة عمل الشيوعيون على إقامة مهرجان لزراري التبغ فتم تشكيل لجنة تأسيسية ترأسها محمد نجيب الجمال من قرية عينانا. قام أبو سمير سلامة برفقة صديقه كامل قانصو بتوزيع المناشير التحريضية على القرى. كان كامل على علاقة وطيدة بمختر قرية برعشيت فقصد له دعوتة للمشاركة في المهرجان. لم يكن كامل يعلم بعلاقة المختر بالسلطات فسلمه الدعوة ويادر المختر لآخذ المناشير المتبقية عارضاً توزيعها بنفسه. في اليوم الثاني وأثناء عودة أبو سمير سلامة من الحقل ومعه عائلته كانت الشرطة بانتظاره فتم اعتقاله وسوقه إلى مخفر النبطية حيث وجد هناك سائر رفاقه وبدت عليهم آثار التعذيب.

كان وقع الاعتقال صاعقاً على الأهالي فقصد وفد منهم النائب آنذاك سمح عسيران فتم تكليفه بالتراجع عن المعتقلين لكن بعد تدخل من الرئيس فؤاد شهاب تم إخلاء سبيل المعتقلين

عُرفت وتُعرف باسم كفر موسكو. ليس عن عبث. كفرمرمان الواقعة في قضاء النبطية قرية ذات تاريخ يساري وحاضر خليط من اليسار والقوتين الحاضرتين جنوباً. حزب الله وحركة أمل.

التالي استعادة تاريخية لماضي القرية الاحمر، وقد صار بعيداً. ماضي العمال والفلاحين يناضلون ضد «الاقطاع» ويسجنون بسبب بيان يرمي على الطرقات. ماض غابر.. وجميل.

إنه العام ١٩٤٧. «الرفاق» في منظمة الحزب الشيوعي في النبطية يتهبأون لإحياء الذكرى الثلاثين لانتصار ثورة أكتوبر البلشفية. الدعوات تمت سرا. رميت المناشير على الطرقات وعلق بعضها ليلاً على أبواب المنازل. حصلت التظاهرة واعتقل المشاركون والمحرصون. كان أبو سمير بصر (عمره اليوم ٧٤ عاماً) يعمل خياطاً لدى حسن محي الدين، المسؤول الثقافي لمنظمة الحزب الشيوعي في النبطية آنذاك. اعتقل حسن مع سائر الشيوعيين فذهب العامل أبو سمير لتفقد رب عمله في سجنه. كلفه الاخير بمهمة حساسة للغاية، وهي إتلاف جميع البيانات والكتب والمنشورات الموجودة في البيت. أخبر أبو سمير صديقه وابن قريبته كفرمرمان محمود أبو زيد (أبو خلدون) فطلب منه الاخير تنفيذ المهمة بسرعة تحسباً لهدامة منزل حسن من قبل الدرك. أخذ أبو سمير معه الكتب والأوراق «الشيوعية» وتوجه نحو منزله وخباها في «الكوارة» وهي فراغ بين جدارين تسحب من أسفلها الهونة التي ترمى من فوق لتحفظ فيها.

عند الغيب التقى أبو سمير صديقه وأخيره بما فعل، ومد ذلك الحين تكففت لقاءات الشابين. صار «الجل» مقرهما، وشجرة التين قاعة لاجتماعاتهما. كان أبو سمير يسحب الكتب من «الكوارة» لتناقش داخل الاجتماع. وبدأ العمل معاً لتحريض الناس من مزارعين وفلاحين ضد الاقطاع السياسي.

الشيوعيون الاوائل سيستغلون حالة الاذلال التي يعيشها أبناء القرية ويشرعون بتحريض الفلاحين والعمال والمزارعين والأساتذة.

أنشأوا الخلايا الحزبية ورسخوا حضورهم داخل البلدة، في تلك الفترة وقعت الحرب في فلسطين ولحققتها النكبة فقدم إلى النبطية شخص فلسطيني يدعى معروف حسون على دراية كافية بالأفكار الشيوعية. افتتح صفاً في منزله بالنبطية لتعليم اللغة الانكليزية وكان يمرر خلاله محاضرات عن الشيوعية. كانت مهمة أبو خلدون رفته بالمزيد من الطلاب، وهذا ما حصل مع احمد محمد قانصو (٧٠ عاماً). واجهت عائلة احمد الاقطاع منذ البداية ودفعت ثمن ذلك تهجيراً من كفرمرمان نحو قرية طمرة وهي مزرعة صغيرة تقع عند جسر الخردلي. سعى الاقطاع إلى تاليد العائلات الكبيرة الواحدة ضد الأخرى بهدف الحفاظ على نفوذه واستدامة سيطرته، مما اضطر الفئة المتضررة لطلب العون من اقطاع آخر معارض لقطاع آل الزين المسيطر. فقد كان آل الأسعد يدعمون في كفرمرمان كل من هو معارض لآل الزين ومن هنا نشأت علاقة قوية بين الشيوعيين والاسعديين سنتعزز لاحقاً في ثورة ١٩٥٨ حين وقف الاسعديون إلى جانب الثوار في مواجهة كميل شمعون وحلفائه. على أن آل الأسعد كانوا يمارسون اقطاعهم «كما